إثارة الشجون في عنابر السجون

إعداد

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف
غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن من أعظم الوسائل التي ترقق القلوب هي ما كان على المنهج الرباني والنبوي الذي ما بين الترغيب والترهيب ليعيش المؤمن بين الخوف والرجاء ويكون كجناحي طائر يطير بهما قلب المؤمن ويحركانه إلى مولاه تبارك وتعالى ويتقدمهما الركن العظيم وهو المحبة.

فالخوف ينتهي بانتهاء المخوف وهي النار والرجاء ينتهي بالحصول على المرجو وهو الجنة والمحبة باقية للمؤمن حتى وهو في الجنة.

ومن هذا المنطلق كتبنا خمس مواعظ على هذا المنهج وألقيناها في السجن العام بمحافظة الخرج وسميت هذه المواعظ مجتهداً «**إثارة الشجون في عنابر السجون**» [١] والشكر موصول إلى المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمحافظة الخرج وكذلك الشكر موصول إلى الإدارة العامة في السجن العام بمحافظة الخرج [٢] لإتاحة الفرصة لنا ولأخواني من الدعاة والمشايخ في الدعوة إلى الله عز وجل على منهج سلفنا الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) سميت هذه المواعظ بهذا الاسم بسبب ما وجدته أثناء إلقائي لهذه المواعظ في عنابر السجن من تأثير ونفع والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) أخص بالشكر والتقدير الداعية عبدالله بن ناصر بن جميع حفظه الله، المرشد الديني المتعاون في السجن العام بمحافظة الخرج على جهوده المباركة في الدعوة إلى الله عز وجل والإصلاح والتوعية في عنابر السجن، نسأل الله العلي القدير أن يسدده ويوفقه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

نسأل الله العلي القدير أن يخلص نياتنا ويصلح علانيتنا وأن يجعلنا مباركين أينما كنَّا وأن يجعل ما نقدمه حُجَّة لنا لا علينا وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

الموعظة الأولى

التاج المفقود

الحمد لله الرحيم الرحمن، اللطيف بعباده حين تصيبهم الهموم والأحزان، وعد الصابرين أجرهم بغير عدٍّ ولا حُسبان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديَّان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي صبر على إيذاء بني الإنسان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد :

فإنه مقام الأنبياء.. وحِلية الأولياء...

من أخذ به أخذ بحظٍ وافر...

السعيد منّا من جعله تاجاً عليه ونبراساً يُعرف به فهنيئاً لمن عرفه وفهمه وآمن به وعمل عليه وسار على درب من سبقه إليه.

أتعرف ما هذا «إنه الصبر والصبر ضياء».

فكونوا يا عباد الله من الصابرين ومع الصابرين فيعطيكم ربكم الأجر العظيم ويسكنكم جنات النعيم...

قال الله جلّ في علاه : **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]** {آل عمران:٢٠٠}.

وقال سبحانه في أهل الجنة: **[أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا]** {الفرقان:٧٥}.

وقال تعالى: **[وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ]** {الرعد:٢٣-٢٤}.

فالصبر في الدين بمكان الرأس من البدن فلا إيمان لمن لا صبر له ومن يتصبَّر يُصبِّره الله وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ : (**إذا جمع اللهُ الخلائق نادى منادٍ : أين أهل الصبر؟ قال: فيقوم ناسٌ وهم يسير فينطلقون سِراعاً إلى الجنة فيلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سِراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقولون: وما كان صبركم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله وكنا نصبر عن معاصي الله فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجرُ العاملين**) (١).

قال سليمان بن القاسم رحمه الله: [كلُّ عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر قال الله عز وجل [**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**] {الزُّمر: ١٠}. فقال: كالماء المنهمر].

وكان صالح المرِّي رحمه الله يقول: [اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك وارزقنا صبراً عن معصيتك وارزقنا صبراً على ما نكره وارزقنا صبراً عند عزائم الأمور].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: [يحتاج المؤمن إلى الصبر كما يحتاج إلى الطعام والشراب].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: [الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر].

قال الشاعر:

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية لأبي يعلى.

دع المقاديرَ تجري في أعنّتــها ولا تبيتنَّ إلا خالي البـــــالِ
ما بين غمضةِ عين وانتباهتــها يغير الله من حــالٍ إلى حــالِ

فالصبر طعمه مُر ويحرق صاحبه ولكنه يضيء...
فقد جاء في ذلك الخبر كما صح عن سيِّد البشر ﷺ بقوله «**والصبر ضياء**»(١).

فالصبر كالسِّراج يحترق من داخله ومن خارجه يضيء والصبر دواء لكل داء والعلاج طعمهُ لا يُقبل ولكن نهايته شفاء بإذن الله تعالى.

قال الشاعر:
الصبر مثل اسمه مُــر مذاقتــه لكن عواقبه أحلى من العســلِ

فقد ذُكر الصبر في القرآن في عدة مواضع لشرف مكانه وعلو شأنه ولأهميته وحاجة الناس إليه...

فقد ذُكر في القرآن في تسعين موضعاً وذُكر في السُّنة في مواضع كثيرة لا يعلمها إلا من يعلم السِّر وأخفى...

فيا رعاك الله وجعل ربي الجنة مثواي ومثواك دعنا نسير نحن وإياك في رياض الجنة في دستور الأمة الكتاب والسنة...

لنعيش ونقطف أحلى الثمر وكلها أحلى للبشر نقف في وقفات إيمانية...

* **الوقفة الإيمانية الأولى:**

الصلاة ولا خير فيمن تركها فهي عمود الإسلام فرضها الرحيم الرحمن على رسولنا خير الأنام ﷺ في السماء السابعة لشرفها

---

(١) رواه مسلم من رواية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

وعظمها فهي خمس صلوات في اليوم والليلة وخمسون صلاة في الأجر.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَثَلُ الصلواتِ الخمس كمثل نهر جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: (لا يبقى من درنه شيء) **قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)** (١).

وجاء الفضل العظيم فيمن مشى إلى المساجد: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ الله له في الجنة نُزُلاً كلما غدا أو راح)** (٢).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**بشِّروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)** (٣).

وجاء الفضل العظيم فيمن انتظر الصلاة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**الملائكة تُصلي على أحدكم ما دام في مُصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه)** (٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري.

وجاء الفضل العظيم فيمن صلى في جماعة المسلمين: فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**) (١).

وجاء الفضل العظيم فيمن حافظ على صلاة الفجر والعصر: فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**من صلى البردين دخل الجنة**) (٢).

وجاء الفضل العظيم فيمن حافظ على صلاة الفجر والعشاء: فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله**) (٣).

وجاء الفضل العظيم والأجر الجزيل ويعظم الثواب بعظم النية في المحافظة على الصلوات الخمس في اليوم والليلة وأن يؤديها في جماعة المسلمين ويزيد على الفرائض بسنن الرواتب. فعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من عبد مسلم يصلِّي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بُني له بيت في الجنة**) (٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

ومن أعظم النوافل بعد الفرائض وسنن الرواتب قيام الليل وخاصة الوتر: فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً**)(١).

إذاً فالصلاة عظيمة بالفرائض وسنن الرواتب وقيام الليل وبخاصة الوتر ولذا فإن الله سبحانه وتعالى جعل أمراً مهماً عند أداء هذه الصلوات وذلك بأن نتمسك بالصبر في أدائها فقد قال الله جل في علاه: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**] {البقرة:١٥٣}.

وقال سبحانه: [**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ * [الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**] {البقرة:٤٥-٤٦}.

*** الوقفة الإيمانية الثانية:**

الإنسان في هذه الدنيا يدخل في معارك عظيمة مستمرة إلى نهايتها بموته... فهذه المعارك مع أعدائه الأربعة: «الدنيا والنفس والشيطان والهوى» فتكون الغلبة دائماً للإنسان إذا امتلأ قلبه بالإيمان وابتعد عن دواعي المنكرات والعصيان ونما وزكى بنفسه في فعل الخيرات وروّض نفسه وبدنه في التقـــرب والعبادات. إذاً تأمل هذا الحديث العظيم.

فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: (**فإن من ورائكم أيام الصبر فيه**

(١) رواه مسلم.

مثل القبض على الجمر للعامل فيهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله) قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم قال: **(أجر خمسين منكم)** [(١)].

فهنيئاً لمن اجتهد في الطاعات وابتعد عن المعاصي والمنكرات واستعان بالله عز وجل على ذلك وسأله الصبر والثبات وألبسه التواضع ورزقه الخشية والخضوع والخشوع والموفّق منّا من عرف حقيقة أعدائه الأربعة فتأمل يحفظك ربي من كل سوء: «كلما أكثر العبد من الشهوات كلما أخلد إلى الأرض وضاق صدره وكلما قلل من الشهوات وأكثر من الطاعات كلما حلَّق في السماء واتسع قلبه».

قال الله تعالى : **[الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ]** {الرعد:٢٨}.

فإذا قصَّر العبد في العمل ابتلاه الله بالهموم ومن أطال الأمل أساء العمل ومن قصَّر الأمل أحسن العمل.

فكن يا عبد الله في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

تأمل قوله ﷺ: **(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)** [(٢)].

فالمؤمن لو كان أنعم الناس في الدنيا ومآله إلى الجنة تكون له الدنيا كالسجن.

والكافر لو كان أشد الناس بؤساً في الدنيا ومآله إلى النار تكون له الدنيا كالجنة.

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله:

غداً توفّى النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

*** الوقفة الإيمانية الثالثة:**

أمرها عظيم...

فهي مقدّرة من لدن عليم حكيم...

من عرف ذلك دخل في قلبه الأمن والإيمان والراحة والاطمئنان.

تأمل هذه الآيات من رب البريّات...

قال الله جل في علاه: [**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**] {التغابن:١١}.

وقال سبحانه: [**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**] {الحديد:٢٢}.

وقال تبارك وتعالى: [**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**] {البقرة: ١٥٥-١٥٧}.

تقاس قوة الإيمان عند حلول المصيبة وفي وقت يجهله كثير من الناس. فعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: (**اتقي الله واصبري**) قالت: إليك عني فإنك لم تصب

بمصيبتي ـــ و لم تعرف النبي ﷺ ـــ فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت إليه فقالت: لم أعرفك فقال: (**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**) (١).

فكل مهموم ومغموم ومُبتلى في دينه ودنياه فليذكر هذا الحديث العظيم الذي هو في الحقيقة عزاء لأهل البلاء.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم المصائب**) (٢).

فالمصائب والبلايا تحل على الناس وبخاصة الأنبياء ليمحص الله إيمانهم.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل الرجلُ على حسب دينه فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**) (٣).

إذاً البلايا على مقادير الرجال.. فمن تأمل أحوال الأنبياء وشدة ما مرَّ بهم من بلاء ازداد يقيناً وإيماناً بصدق رسول الله ﷺ..

فهذا نوح عليه السلام ابتلي بابن كافر وزوجة كافرة وابتلي بقوم في غاية الكفر معاندين ومستهزئين وساخرين يدعوهم نوح عليه السلام ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وما آمن معه إلا قليل في دعوة بلغت ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الدارمي والحديث حسن بشواهده.

(٣) رواه الترمذي وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

وهذا إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح ولده وفلذة كبده بعدما كبُر سنه وشاب شعر رأسه ودق ظهره فأجاب أمر خالقه ففداه ربه بذبح عظيم...

وهذا يوسف عليه السلام أُلقي في الجب وهو صغير وبيع كبيع الرقيق بثمن بخس بدراهم معدودة وابتلي بامرأة العزيز وسُجن فلبث في السجن بضع سنين وخرج وكان أميناً على خزائن الأرض وجاءه أهله من فلسطين...

وهذا يعقوب عليه السلام ابتلي بفقد ابنه يوسف الذي امتلأ قلبه حباً له فعندما طال الفراق بينهما قال يعقوب: **[فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ]** {يوسف:١٨}.

وهذا أيوب عليه السلام ابتلي بفقد ماله وأولاده وأصحابه ثم ابتلي بفقد العافية في بدنه حتى تضرع إلى ربه فأجاب دعاءه فقال: **[أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]** {الأنبياء:٨٣}.

وهذا يونس عليه السلام دعا قومه وخالفوه وعاندوه فركب البحر غضبان فمضى قدر الله فوقعت القرعة عليه ورمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت فأصبح في ثلاث ظلمات فنادى رب الأرض والسموات في هذه الظلمات فنجّاه ونبذه على شاطىء البحر عندما قال: **[لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]** {الأنبياء:٨٧}.

وهذا خير الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ

صلى عليك اللهُ ما صحب الدُّجى حادٍ وحنَّـــت بالفلا وجناء

فهذا النبي الكريم إمام المتقين والصابرين نُشهد الله أنه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيله حق جهاده وتركنا على محجَّة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها والله إلا هالك.

هذا النبي الرحيم المشفق على أمته ويتمنى أن يلقاهم عند حوضه.

كم لقي من الأذى... وكم لقي من الاستهزاء... وكم لقي من السخرية... وكم لقي من الإهانة وكم لقي من شتى صنوف الأذية... فصبر فكان إمام الصابرين ولنا فيه قدوة حسنة.

فأعطاه ربه على جهده وجهاده ودعوته وطاعته فقرَّبه منه...

فأعطاه الحوض وأعطاه المقام المحمود وأعطاه الشفاعة ورفع ذكره وشرح صدره ووضع عنه وزره... وقطع شأن من نال منه في حياته وبعد مماته.

فتأمل يا رعاك الله هذا خطاب من الله... لكل مبتلى...

[فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] {الأحقاف:٣٥}.

فاللهم اجعلنا من الصابرين ومن الشاكرين ومن أصحاب جنتك جنة النعيم يا رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الثانية

المقام الرفيع

الحمد لله السميع البصير يعلم السرَّ وأخفى ويعلم الجهر والنجوى يرى مكاننا ويسمع كلامنا ولا يخفى عليه شيء من أمرنا والصلاة والسلام على هادي البشرية وخير البرية المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد.

فمن تفكّر في العواقب أخذ الحذر...

ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر...

ومن قصَّر الأمل أحسن العمل...

ومن أطال الأمل أساء العمل...

تأمل هذه الآيات العظيمة: قال الله تعالى: [**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**] {الشعراء: ٢١٧-٢٢٠}.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله : (أعظم مساعد للعبد على القيام بما أُمر به الاعتماد على ربه والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور فذلك أمر الله بالتوكل عليه).

ومعنى (**التوكل**): (اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وحسن الظن وفعل الأسباب).

ومعنى (**العزيز الرحيم**): بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر وكل ذلك برحمته.

وتأمل: أن فعل الأوامر وترك النواهي لا يأتي إلا باستحضار قرب الرب من العبد ونزوله في منزلة الإحسان فهو: [**الَّذِي يَرَاكَ**

حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {الشعراء: ٢١٨-٢٢٠}.

أي بأنه يراك في جميع الطاعات والقربات وأعظمها الصلاة وذُكر في الآية أعظم ما فيها من الأركان لقرب العبد منه وهو السجود.

فإن الله يراك وقت القيام ووقت الركوع ووقت السجود وفي كل وقت يجب أن تستحضر قرب الرب منك ولتعلم بأنه **[هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ]** {المائدة:٧٦}.

السميع: لسائر الأصوات على اختلاف لغاتها ولهجاتها وأماكنها وزمانها..

العليم: الذي أحاط بالظواهر والبواطن والغيب والشهادة...

فعندما يعلم العبد أن الله سميع وعليم بلغ منزلة الإحسان تلك المنزلة العظيمة وهي أن: (**تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**).

نعم الله يراك... في سرك ونجواك... في الأرض وفي السماء... فإنه الله يراك...

ألم تعلم بقوله تعالى: **[هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {الحديد:٤}.

منزلة الإحسان...

استحضار عظمة الله في كل الأحوال والأزمان.

فالمراقبة مطلوبة ومن حصل عليها وصل إلى مرتبة الإحسان...

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه).

فالمراقبة ثمرة علم العبد بأن الله رقيب عليه...

ناظر إليه...

سامع لقوله...

مطلع على عمله...

فمن راقب الله في خواطره عصمه في حركاته وجوارحه...

قال بعض السلف: (والله إني لأستحي أن ينظر الله في قلبي وفيه أحد سواه).

فما أعظم المراقبة ففيها السعادة ...

قال ذو النون رحمه الله: (علامة المراقبة: إيثار ما أنزل الله. وتعظيم ما عظَّم الله. وتصغير ما صغَّر الله).

قال إبراهيم الخوّاص رحمه الله: (المراقبة. خلوص السِّر والعلن لله جل وعلا).

قال الشافعي رحمه الله: (أعز الأشياء ثلاثة: الجود من قلة. الورع في خلوه. وكلمة الحق عند من يُرجى أو يُخاف).

اعلم رحمك الله: أن من أعظم العبادات إعمار القلب بالمراقبة فكلما ازداد العبد تعظيماً لله عز وجل في قلبه ازداد إحساناً ومراقبةً في أعماله...

قال ابن القيم رحمه الله: (المراقبة هي التعبد بأسمائه سبحانه وتعالى فهو الرقيب والحفيظ والعليم والسميع والبصير).

ومن أسماء الله العظيمة (الرقيب):

[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] {ق:١٨}.

فإن الله رقيب لا يغفل عمّا خلق...
مطّلع على ما تخفيه الصدور...
القائم على كل نفس بما كسبت...
فإن الله رقيب على الأشياء بعلمه...
رقيب ببصره...
رقيب بسمعه...
ألم تعلم أن الله **[يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ]** {غافر:١٩}.

إذا ما خلوتُ الدهر يوماً فلا تقلِ خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ولا أن ما نخفيه عنه يغيبُ
ألم ترَ أنَّ اليوم أسرع ذاهبٍ وأنَّ غداً للناظرين قريبُ

ومن أسماء الله العظيمة (الحفيظ):
فهو الذي حفظ خلقه...
وأحاط علمه بما أوجده...
وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب...
وأحصى على عباده أعمالهم...
هل تعلم معنى (احفظ الله يحفظك) ؟!
معناها احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه وذلك بالامتثال للأوامر واجتناب النواهي...
ومن أعظم ما أمر الله بحفظه الصلاة !!!
الصلاة وما أدراك ما الصلاة!!
قال تعالى: **[حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ]** {البقرة:٢٣٨}.

قال تعالى: **[وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ]** {المؤمنون:٩}.

فمن حافظ عليها بحفظ أركانها يحفظه ربي من عذابه في الآخرة ويوفقه ويرزقه السعادة في الدنيا والآخرة...

على قدر صلة العبد بربه عز وجل...

تفتح له أبواب الخير...

وتقطَّع عنه أسباب الشر...

فقد توعد الله سبحانه وتعالى بالهلاك والعذاب العظيم لمن ضيَّع الصلوات، فقال تعالى: **[فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا]** {مريم:٥٩}.

فلن يستقيم حال العبد وحال الأمة إلا بالمحافظة على هذه الصلوات.

ومن أسماء الله العظيمة (العليم):

الذي يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن لو كان كيف يكون...

يعلم السرائر والخفايا وما في الضمائر...

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: (وهو الذي أحاط علمه الظواهر والبواطن والإسرار والإعلان وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفى عليه شيء من الأشياء).

تأمل في قوله تعالى: **[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ**

أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] {المجادلة:٧}.

ومن أسماء الله العظيمة: (السميع):

قال الله تعالى: **[رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ]** {البقرة:١٢٧}.

وقال عن نفسه: **[إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]** {البقرة:١٨١}.

فهو سميع لأقوال عباده...

سميع النجوى...

سميع النداء...

سميع الألفاظ....

سميع ما يوسوس في الصدور...

سميع السِّر وأخفى...

يسمع الأصوات ولا تختلف عليه اللغات واللهجات...

ومن أسماء الله العظيمة (البصير):

أي له بصر يرى به سبحانه وتعالى...

يُبصر كل شيء صغر أو كبُر ...

يُبصر ما تحت الأرض وما فوق السماء وما في أعماق البحار...

لا تراه في الدنيا العيون...

ولا تخالطه الظنون...

ولا تغيره الحوادث والسنون...

لا تواري عنه سماءٌ سماءً...

ولا أرضٌ أرضا...

ولا جبل ما في وعره...

ولا بحر ما في قعره...

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلة عجوزاً تقول لبُنيتها: امزجي اللبن بالماء...

فقالت البُنية : أما علمت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن مزج اللبن بالماء...

فقالت العجوز في وقت غفلة : أين عمر حتى يرانا...

فقالت البُنيَّة المؤمنة الموقنة بنظر الله: إن كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا...

ومر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على رويعي غنم في الصحراء فقال له: بعنا من هذه الشياه، فقال الراعي: أنا مملوك ومؤتمن...

فقال له ابن عمر: قل للمالك أكلها الذئب...

فقال الراعي: وماذا أقول لله...

فقال نافع مولى ابن عمر: رأيت ابن عمر يردد ويقول وهو يبكي ماذا أقول لله!!!

فاشترى ابن عمر الراعي المملوك واعتقه وأعطاه غنماً يملكها...

قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**] {التوبة:١١٩}.

هذه بعض أسماء الله وصفاته جل في علاه...

فأين أثرها في حياتنا...!!

فإذا أردت أن تعرف قوة إيمانك...

فراقب خلواتك...

فمراقبة الله... مقام كريم... مقام رفيع لمن أراد السعادة في الدنيا والآخرة، فقد قال تعالى: **[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى]** {النَّازعات:٤٠-٤١}. وقال تعالى: **[وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ]** {الرَّحمن:٤٦}. وقال تعالى: **[مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بالغَيْب وَجَاءَ بقَلْب مُنيب * ادْخُلُوهَا بسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ]** {ق:٣٣-٣٥}.

إذا همّت النفس بالمعصية فذكرها بنظر الله إليها...

لا يكن الله أهون الناظرين إليك...

إذا خلــوت يومــاً بريــةٍ والنفس داعيــة إلى العصــيان

فاستحِ من نظرِ الإلهِ وقلْ لهــا إن الذي خلق الظــلام يــراني

الله.. الله... في مراقبة الحق تبارك وتعالى...

الله.. الله.. في الخلوات...

الله.. الله... في النيات...

فإن عليكم من الله عيناً ناظرة...

والملائكة عليكم كاتبة...

والكتب يوم القيامة ناشرة...

فأين لذة المعصية !!

أين تعب الطاعة !!

رحل كلٌ بما فيه...

يا عبدالله...

بأي بدن ستقف أمام الله جل وعلا...
بأي لسان ستجيب الله عز وجل...
أعدّ للسؤال جواباً ...
وللجواب صواباً...
فالبدار البدار إلى العزيز الغفّار...
فأبواب التوبة مفتوحة...
وربٌ غفور رحيم يقبلها...
ويبدِّل السيئات إلى الحسنات...
وفي الآخرة تفوز بأعلى الجنات...
لا تضيع الفرصة...
وتفوت...
وتموت...
ثم يُغسلوك...
ويُكفنوك...
ويُصلى عليك...
وتُحمل على الأكتاف...
وفي القبر يتركوك...
فالهروب الهروب من الله إلى الله...
وعظِّم الرب تبارك وتعالى في قلبك...
وامتثل أوامره...
واجتنب نواهيه...
تَفزْ بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أُعدت للمتقين...

فاللهم اجعلنا ممن يعظمك كأنه يراك وارزقنا خشيتك وتقواك ووفقنا للخير فلا موفق سواك وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

الموعظة الثالثة

الغاية العظيمة

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفةً لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً. والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده فتركنا على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها والله إلا هالك. فاللهم صلي على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

تباركت يا من أنزل الغيثَ والهُدى ... فذكرُك للأرواح أحلى وأطيـــبُ
فأنتَ الذي في الغارِ أمَّنتَ أحمـــدَ ... وخيّبتَ أهلَ الشِّرك حين تحزَّبــوا
وسلَّمتَ إبراهيمَ والنارُ أُوقــدت ... فصار ســلاماً حرُّهــا الملتــهبُ
وأيَّدتَ موسى إذ قصمتَ عــدوّهُ ... وقد كان في دنياهُ يلهو ويلعــبُ
وأنت الذي آوى ابن مريم ســالماً ... وكلُّ عــداه مــبغِضٌ ومؤلِّــبُ
وأنتَ الذي أنجيــتَ في الحــوتِ ... وقد فرَّ من أوطانهِ وهو مُغضَــبُ

صفات المدح في الكاملين ذرة في كمال رب العالمين...
نعوت الفضل في الأبرار نفحةٌ من أفضاله...
ألسنة المادحين وأقلام الواصفين حائرة في جلاله...
من أنا حتى أمدحه...
من أنا حتى أمجّده ...
من أنا حتى أثني عليه...

أنا الذي خُلق من تراب أصف الملك الوهّاب...

أنا الذي صوّر من طين أذكر جلال رب العالمين...

إنّ الخجل يملأ فؤاد من خُلق من ماءٍ مهين...

فاللهم ارزقنا تعظيمك في السرِّ والعلَن...

يا الله سبحانك ما أعظمك ...

سبحان من أجرى الماء وسيّر الهواء وبث الضياء وأقام الظلماء...

سبحان من على العرش استوى ومن يسمع ويرى والذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى...

سبحان من لا يموت... سبحان من تكفّل بالقوت...

سبحان من وهب النور في الأبصار وسكب الضياء في النهار وقصّر بالموت الأعمار وأفنى بالهلاك الديّار...

لا إله إلا الله كلما برق الصباح وهبّت الرياح وتعاقبت الأفراح...

لا إله إلا الله يفعل ما يريد يبدؤ ويعيد ذو العرش المجيد...

لا إله إلا الله حافظ الأولياء وناصر الأنبياء وكابت الأعداء يفعل ما يشاء...

لا إله إلا الله مكرم الأبرار ومهين الفجّار عالم الجهر والإسرار...

الله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله الرحيم الرحمن...

الله المستعان على تعاقب الزمان وتفرق الأهل والإخوان...

الله المستعان على فقد الأحباب وموت الأصحاب وتغير الأسباب...

الله المستعان إذا ظهرت العيوب وكثرت الذنوب وقست القلوب...

الله أكبر يا إله الأولين والآخرين...

الله أكبر حقاً حقاً... ومحبةً وصدقاً... وعبودية ورقاً ...

الله أكبر تُكسِّر بها آمال الأكاسرة وتقصّر بها أعمار القياصرة وترغم بها أُنوف الجبابرة...

الله أكبر له الكبرياء والثناء وإليه الرجاء ومنه النعماء...

الحمد لله يا أكرم الأكرمين...

الحمد لله على جزيل العطاء ومسدي النعماء وكاشف الضراء ومعطي السرّاء...

الحمد لله دائم الإحسان وجزيل الخير والامتنان وحكيم الخلق والإتقان...

الحمد لله على نعمة الإسلام وتواتر الإنعام...

الحمد لله أبداً سرمداً ولا أُشرك معه أحداً تبارك فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولا شريكاً ولا عضداً ...

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري...

تأمل في خلق الإنسان:

خلق الله عز وجل آدم عليه السلام من تراب ثم من طين لازب ثم من صلصال كالفخار ثم نفخ فيه الروح وأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة للسجود لآدم فأبى إبليس ثم خلق الله عز وجل

زوجته حواء من ضلعه وكانت هذه الأحداث في الجنة فأمرهم الله عز وجل ألاَّ يأكلوا من الشجرة ووسوس لهما الشيطان فأكلا منها وتابا وتاب الله عليهما وأخرجهما من الجنة بعدما كانا فيها يتمتعان. ثم أُهبطَا إلى الأرض فبدأ صراع الحق والباطل وتكاثرت ذرية إبليس وتكاثرت ذرية آدم وحواء عليهما السلام من ماء الرجل والمرأة.

قال الله تعالى: [**فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**] {الطَّارق: ٥-٧}.

وقال سبحانه وتعالى: [**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ**] {المرسلات: ٢٠-٢٣}.

وقال سبحانه وتعالى: [**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ**] {الواقعة: ٥٨-٦١}.

وقال سبحانه وتعالى: [**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**] {الإنسان: ١-٢}.

يخرج الماء المهين من الرجل من مخرج البول في شهوة إلى فرج المرأة فتكون نطفة أربعين يوماً كقطرة الماء ثم يكون علقة أربعين يوماً وهي معلقة في رحم المرأة ثم تكون مضغة مخلقة أو غير مخلقة أربعين يوماً والمضغة مثل لقمة الطعام في الفم فإن كانت مخلقة بقت وإن كانت غير مخلقة سقطت بإذن الله عز وجل فيبقى الجنين تسعة أشهر تزيد أو تنقص فيخرج الجنين بأمر الله عز وجل وهداه طريق

الخروج وهداه معرفة ثدي أمه فيخرج الجنين إلى الدنيا ثم يكون طفلاً إلى أن يكبر فمن الذي رعاه في بطن أمه وعلى الأرض... إنه الله جل جلاله... أعطاه وأنعم عليه وأحسن إليه... ويأمره بالأوامر وهي طريق الجنة... وينهاه عن النواهي وهي طريق النار... فهنيئاً لمن امتثل الأوامر واجتنب النواهي قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**] {الانفطار:٦-٨}.

وقال الله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**] {الانشقاق: ٦-١٥}.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء...

تأمل في خلق النبات:

آية من الآيات نجم وباسق حلو وحامض صنوان وغير صنوان أحمر وأخضر أبيض وأسود لين وقاسي أجرد وشائك طويل وقصير مثمر وغير مثمر حار وبارد.

قال الله عن نفسه: [**هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**] {لقمان:١١}.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء..

تأمل في خلق الحيوان:

من الحيوانات من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ومنهم الطائر ومنهم الزاحف ومنهم الأليف ومنهم المتوحش ومنهم المسالم ومنهم المحارب ومنهم البحري ومنهم البري ومنهم من يُكسى بالريش ومنهم من يُكسى بالشعر والوبر والصوف قال الله عن نفسه: **[الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ]** {السجدة:٧}.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري...

نقل أهل السِّير أن حيّة عمياء كانت في رأس نخلة فكان يأتيها عصفور برزقها فإذا اقترب من فمها فتحت الحية فمها ووضع فيه رزقها فسبحان من قال: **[الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى]** {طه:٥٠}.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء...

وفي كل شيء له آية... تدل على أنه الواحد

إن البعرة تدل على البعير وإن الأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذو أمواج ونور يلمع وشمس تسطع وماء دافق ونجوم تلوح وشذى يفوح ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباري...

حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبدالعزيز نزل المطر وزاد صوت الرعد واشتد ضوء البرق الخاطف خاف الناس وخاف سليمان بن عبد الملك.. فقال له عمر بن عبد العزيز: «سبحان الله هذه آثار رحمته فكيف بآثار عذابه ونقمته».

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء...

ذكر الأصمعي: أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ : [**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**] {الذاريات:٢٣} فقال الأعرابي: (سبحان الله من هذا الذي أحوج الجليل حتى يقسم).

ومعنى هذا: أن الأمر ظاهر لا يحتاج إلى قسم ولكن بعض النفوس تكابر وتعاند والعقول المتحجّرة تحتاج لهذا: [**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**] {عبس:١٧}.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء...

ومن بديع خلق الذباب أن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، ولذا يُغمس في الإناء إذا سقط فيه ويخرج كما جاء في ذلك الحديث الصحيح.

ومن بديع خلق الذباب أنه إذا وقع على بياض سوّده وإذا وقع على سواد بيضّه وإذا وقع على جرح جدّده وإذا وقع على لحم مكشوف أنّتنه وإذا وقع على اللبن أفسده ومع هذا تحدى الله عز وجل البشرية بالذباب وقال تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**] {الحج:٧٣}.

تأمل يا رعاك الله في كل ما يدور من حولك فإنه يدل على عظمة الخالق الباريء...

فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً ...

مـــــن علّـــــم النملـــــة أن تشـــيّد جُحـــــراً في التُــــراب
مـــــن علّـــــم النحلـــــة أن تُنســـج بيتـــاً مــــن لُعـــاب
مـــــن علَّـــــم العصـــــفور أن يُـــنظم عُشــــباً في الِهضــــاب
ذاك هـــــــو الله الـــــــذي أبــــدع في الخلـــق العُجـــاب

يا عبدالله...

إن الله أحق من مُدح وأجل من ذُكر وأعظم من عُبد...

فإن تعظيم الباري عز وجل والخوف من مقامه ومعرفة قدره وقهره وتعظيم القرآن من عظمة مُنزِّله جل وعلا فهذه هي الغاية العظيمة فتأمل في وصف كلام الباري تبارك وتعالى: [**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**] {الحشر:٢١}.

واعلم رحمك الله أن من عظمة الله عز وجل أنه لا حول لأحد ولا قوة له إلا بالله ولذا كانت من أعظم الكلمات قول رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (**عليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة**)[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (إن الله أمر الملائكة بحمل العرش فلم تستطع فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله فقالوها

[1] رواه البخاري ومسلم.

فحملوا العرش بإذن الله فلا حول ولا قوة إلا بالله يُنال بها أشرف الأحوال وتهون بها الأهوال وتُحمل بها الأثقال ويصلح بها البال وهي أحسن الأقوال).

إذاً يا رعاك الله إن الله جل جلاله التواب الرحيم ذو الفضل العظيم الواسع العليم العزيز الحكيم ينادي عباده بألطف الأسماء للتوبة والرجوع إليه لمن عصاه ليلاً أو نهاراً سراً أو جهاراً. والله إن الله يحب التوابين ويقبل التائبين ويبدّل سيئاتهم إلى حسنات. قال الرحيم الرحمن لعباده: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]** {التَّحريم:٨}.

والله تعالى ذكر كبائر الذنوب من الإشراك بالله وقتل النفس والزنا وتوعد من فعل هذه الأفعال بالنار يوم القيامة ويضاعف له العذاب ثم قال بعدها: **[إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا]** {الفرقان: ٧٠}.

الله أكبر.. هنيئاً لمن تاب وسار مع قوافل التائبين العابدين...

الله أكبر.. هنيئاً لمن عزم على التوبة من هذه الوهلة قبل زمن النُقْلة...

فأنت يا عبدالله...

اليوم على الأرض وغداً تحت الأرض...

ثم الجزاء والحساب في يوم العرض...

فاليوم عمل بلا حساب...

وغداً حساب بلا عمل...

فاللهم اجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين ومن أوليائك الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

الموعظة الرابعة

جنة الدنيا

الحمد لله على إحسانه والشكر على توفيقه وامتنانه والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه نبينا محمد وعلى صحبه وآله أما بعد :

فإن من فقه العبد أن يعرف مواطن الإيمان فيزداد منها...

ومن فقه العبد أن يعرف مواطن نقص الإيمان فيبتعد عنها...

ومن فقه العبد أن يعرف مواطن نزغات الشيطان فيتعوذ بالله منها...

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (تعالوا نزداد إيماناً).

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: (اجلسوا بنا نؤمن ساعة).

وكان عمير بن حبيب الخُطمي رضي الله عنه يقول: (الإيمان يزيد وينقص. يزيد إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه وينقص إذا غفلنا وضيّعنا ونسينا).

يقول العلامة السعدي رحمه الله : (العبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في أمرين:

الأول: تحقيق أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وعملاً وحالاً.

الثاني: دفع ما ينافيها وينقضها وينقصها من الفتن الظاهرة والباطنة).

إذاً يا رعاكم الله...

لقد جعل الله سبحانه لكل مرغوب ومطلوب سبباً وطريقاً يوصل إليه...

وإن أهمَّ وأعظمِ المطالب وأعمها نفعاً هو الإيمان وقد جعل سبحانه وتعالى مواداً كثيرة تجلبه وتقويه وأسباباً عديدة تزيده وتنمّيه...

وهناك أسباب إذا فعلها العباد قوي يقينهم وزاد إيمانهم... وقد بيَّنها سبحانه وتعالى في كتابه وبيَّنها رسوله ﷺ في سنته...

ولعل من أعظم وأهم الأسباب في زيادة الإيمان:

الأول: تعلُم العلم النافع:

إن أهم وأنفع أسباب زيادة الإيمان تعلمُ العلم النافع علم الشريعة المستمد من الكتاب والسُّنة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم سلام.

فقد قال سبحانه وتعالى: [**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**] {المجادلة:١١}.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**)[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (١).

فتعلم العلم الشرعي وسيلة لأعظم غاية وهي أن تعبد الله وحده لا شريك له والقيام بتوحيده على الوجه المطلوب.

فليس العلم مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره وهو العمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه فهذا المقام مقام العلماء الراسخين الربانيين.

الثاني: قراءة القرآن الكريم وتدبره:

هذا القرآن العظيم الذي أنزله رب العالمين على نبينا محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين في ثلاث وعشرين سنة يحمل هذا القرآن الإيمان والهداية والرحمة والضياء والنور والبشرى وذكرى للذاكرين...

قال تعالى: [**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**] {الأنعام:٩٢}.

وقال تعالى: [**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**] {الأنعام: ١٥٥}.

وقال تعالى: [**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**] {النحل:٨٩}.

وقال تعالى: [**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**] {ص:٢٩}.

(١) رواه أبي داود والترمذي وصححه الألباني.

وقال تعالى: [**إِنَّ هَذَا القُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**] {الإسراء:٩}.

فالذي يقرأ القرآن ويتدبره ويتأمل ما فيه يقوي إيمانه ويزيد وينمو....

قال الآجري رحمه الله: (ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل وعرف عظيم سلطانه وقدرته وعرف عظيم تفضله على المؤمنين وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب محذّر مما حذّره مولاه الكريم).

الثالث: معرفة أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى :

فإن معرفة أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنة التي تدل على كمال الله المطلق من كافة الوجوه لهي من أعظم الأسباب في تحصيل زيادة الإيمان.

فكلما ازدادت معرفة العبد بربه زاد إيمانه وكلما زاد إيمان العبد زادت أعماله الصالحة فإذا علم العبد أن الله سميع وبصير وعليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السِّر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإن هذا يثمر له حفظ الجوارح عن كل ما لا يُرضي الله وأن يجعل تعلقات هذه الجوارح فيما يحبه الله ويرضاه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة**)[1].

(١) رواه البخاري ومسلم.

فليس المراد بالإحصاء عدّها فقط وإنما المراد العمل بها بعد فهم معانيها واعتقادها فيكون أهلاً أن يدخل الجنة ولا يدخل الجنة إلا المؤمنون أسأل الله الكريم أن أكون أنا وإياك منهم.

الرابع: التأمل في سيرة النبي ﷺ:

فإن من أسباب زيادة الإيمان النظر في سيرة النبي ﷺ وما فيها من الصفات الطيبة والخصال الكريمة والشمائل الحميدة فهو أمين الله على وحيه وخيرته من خلقه المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم أُرسل رحمةً للعالمين.

قال ابن الجوزي رحمه الله : (وأصل الأصول العلم وأنفع العلوم النظر في سيرة الرسول وأصحابه).

فإن من تأمل في سيرة خير البرية انتفع بها غاية الانتفاع قويت محبة النبي ﷺ في قلبه وازداد إيمانه ومتابعته وازداد عمله الصالح.

فرسول الله ﷺ داعي الإيمان الأول فقد ذكر سبحانه وتعالى عن أولي الألباب وهم خواص الخلق أنهم قالوا: [**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ**] {آل عمران: ١٩٣-١٩٤}.

إذاً هذا هو المنادي الأول للإيمان محمد ﷺ ، فمن استجاب لله وامتثل أمره واجتنب نهيه كانت السعادة تملأ قلبه في الدنيا وكانت الفردوس الأعلى سكناه في الآخرة.

الخامس: التأمل في آيات الله الكونية:

فإن التأمل في آيات الله الكونية العُلوية مثل: السماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب والتأمل في آيات الله الكونية السُّفلية مثل: الأرض والجبال والأشجار والبحار والأنهار فهذه الآيات والتأمل فيها وفي المخلوقات العظيمة التي لا تُحصى لهي أعظم دواعي الإيمان وأهم أسباب زيادته وتقويته.

يقول سبحانه وتعالى: **[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]** {آل عمران: ١٩٠-١٩١}.

ويقول سبحانه وتعالى: **[تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا]** {الفرقان: ٦٢} .

إذاً فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش هي طُرق متصلة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فهي حجج بالغة وآيات ساطعة وبراهين دامغة على وحدانية رب العزة والجلال سبحانه وتعالى فتأمل فيمن حولك من المخلوقات ليزيد إيمانك وتنشط على أداء الطاعات وتفوز بأعلى الجنات.

إذاً يا رعاكم الله هذه من أعظم وأهم الأسباب في زيادة الإيمان.

ولكن في المقابل هناك من أعظم وأهم الأسباب في نقص الإيمان وهي:

الأول: الجهل وهو ضد العلم:

المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن أعظم الأسباب في الوقوع في الذنوب والمعاصي هو الجهل بالله وبأسمائه وصفاته وبثوابه وعقابه.

يقول سبحانه وتعالى: [**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**] {النساء:١٧}.

قال جماعة من السلف في تفسير هذه الآيات : (اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصي الله به فهو جهالة).

إذاً الجهل داءٌ خطير ومرض فتّاك يجر صاحبه إلى الويلات والعواقب الوخيمة.

وليس هناك داء إلا وله دواء فدواء الجهل هو العلم والعلم من أهم أسباب زيادة الإيمان ولا يدفع الشبهات إلا العلم ولا يدفع الشهوات إلا الإيمان فاللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً واحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن...

الثاني: الغفلة والإعراض والنسيان:

فإن هذه الأمور الثلاثة سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان فمن وقعت منه الغفلة وحصل منه إعراض واستولى على فكره النسيان نقص إيمانه بحسب توفر هذه الأسباب الثلاثة أو توفر

بعضها فيموت القلب أو يمرض فلا يعود حتى يحيا هذا القلب أو يُشفى من مرضه ولا يكون هذا إلا بالطرق المستمدة من الكتاب والسُّنة.

يقول سبحانه وتعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**] [يونس: ٧-٨].

ويقول سبحانه وتعالى: [**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**] {طه:١٢٤}.

وأما النسيان إن كان أصله تعمد وتفريط فقد قال سبحانه وتعالى في أهله: [**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**] {الحشر:١٩}.

وأما إن كان النسيان ليس له أصل ولم يحدث فيه تفريط فمعذور. قال تعالى في ذكر حال هؤلاء : [**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**] {البقرة:٢٨٦}. فقد قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (**فعلت**)(١).

الثالث: مداخل الشيطان:

فإن الله سبحانه وتعالى حذرنا من الشيطان ومداخله وطرقه. فقد قال سبحانه: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**] {النور:٢١}.

وقال تعالى: [**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**] {يوسف:٥}.

---

(١) رواه مسلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله: (الواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام وقد بذل العدو عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم وقد أمر الله تعالى بالحذر منه).

إذاً عدو الإنسان الأول هو الشيطان وهمّه إفساد العقائد وتخريب الإيمان فمن لم يحصّن نفسه بذكر الله والاستعاذة به صار مرتعاً للشيطان يسوّل له فعل المعاصي ويرغّبه في انتهاك المناهي ويؤزّه لارتكاب الفواحش فنعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

يقول الله تعالى: [**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**] {الأعراف: ٢٠٠}.

الرابع: الانشغال بالدنيا:

إن من أسباب نقص الإيمان وضعفه الاشتغال بعرض الدنيا الزائل وشغل الأوقات فيها والانهماك في طلبها والجري خلفها وخلف ملذاتها وفتنتها ومغرياتها فمتى عظّم العبد الدنيا في قلبه قل الإيمان وقلّت الأعمال الصالحة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة). ودائماً ما يصوّر سبحانه وتعالى في كتابه العظيم هذه الدنيا الزائلة بصور وأمثال متعددة لبيان حقيقة فنائها ولا خير فيها إلا ما كان في ذكر الله عز وجل .

قال سبحانه: [**اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآَخِرَةِ**

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ] {الحديد: ٢٠}.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها أماني والوقت ضائع بينهما).

الخامس: قرناء السوء:

قرين السوء هو السبب الرئيسي في ضعف إيمان العبد ونقصانه لقربه منه والتأثر به.

فقد قال رسول الله ﷺ : (**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**) [(١)].

وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه فكل قرينٍ بالْمُقارن مُقتدي

قال سفيان الثوري رحمه الله: (ليس شيء أَبلغُ في فساد رجلٍ وصلاحه من صاحب).

وعلى هذا فإن خلطة الفسّاق وأهل السوء من أعظم الأسباب في نقص الإيمان وضعفه وهذا يختلف باختلاف الناس.

ومن أعظم الأسباب في نقص الإيمان في هذا الزمان ما يصاحب القنوات الفضائية الخالعة والماجنة والشاشات الملوثة في الانترنت التي تسلخ من الإنسان دينه وحياءه وخُلقه.

فاللهم احفظنا بحفظك واكلأنا برعايتك واجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين يا رب العالمين...

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني.

إذاً يا رعاكم الله هذه الأسباب العشرة المهمة في زيادة الإيمان ونقصانه:

- أسباب زيادة الإيمان:

١- تعلم العلم النافع.

٢- قراءة القرآن الكريم وتدبره.

٣- معرفة أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى.

تأمل سيرة النبي ﷺ.

٤- التأمل في آيات الله الكونية.

- أسباب نقص الإيمان:

١- الجهل وهو ضد العلم.

٢- الغفلة والإعراض والنسيان.

٣- مداخل الشيطان.

٤- الانشغال بالدنيا.

٥- قرناء السوء.

فاللهم وفقنا لكل عمل فيه رضاك واختم لنا بالصالحات وارزقنا أعلى الجنات وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموعظة الخامسة

البراهين الأربعة

الحمد لله خالق الكون بما فيه، وجامع الناس ليوم لا ريبَ فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده تقدست عن الأشباه ذاته ودلت على وجوده آياته ومخلوقاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله آخر الأنبياء في الدنيا عصراً وأولهم وأرفعهم يوم القيامة شأناً وذكراً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واتبع نهجه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الله جل وعلا خلق هذا الخلق العظيم من الإنس والجن وأرسى الجبال وبسط الأرض ورفع السماء ونصب الموازين وخلق الجنة وما فيها من النعيم وخلق النار وما فيها من الجحيم...

ليعبد وحده لا شريك له...

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له...

أحبتي في الله:

إن من أعظم الطُرق المؤدية إلى محبة الله في الدنيا وجنته في الآخرة التمسك بكتابه العظيم وبسنة نبيه محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين على فهم سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

يا عباد الله:

أنزل سبحانه وتعالى كلامه العظيم بواسطة جبريل عليه السلام أمين السماء إلى نبينا محمد ﷺ أمين الأرض وقد جاء في حديث النوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحيَ**

بالأمر؛ تكلَّم بالوحي؛ أخذت السماوات منه رجفةٌ أو رعدةٌ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات؛ صَعِقُوا وخرُّوا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسهُ جبريلُ فيكلمهُ الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريلُ على الملائكة كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريلُ: قال الحقَّ وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريلُ فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»[1].

فهذا كلام الله عجائبه لا تنتهي... حلاوته لا تنقضي...
منذُ أن أنزله جل وعلا إلى أن يرفع من الصدور والسطور...

يا أمة الإسلام :

تفكروا في عجائب القرآن واستخرجوا كنوزه واعلموا أن السعادة كلها في التأمل والتدبر والعمل بكتاب الله جل وعلا وبسنة نبيه ﷺ.

فوالله وبالله وتالله والذي نفسي بيده أن الدنيا لا تطيب إلا بذكر الله وأن الآخرة لا تطيب إلا بعفو من الله وأن الجنة لا تطيب إلا برؤية الله وأن لا أحد منا يدخل الجنة إلا برحمةٍ وفضل من الله حتى

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

رسول الله ﷺ[1] وأما أعمالنا فإنها تبلغنا منازلنا ودرجاتنا في جنات النعيم.

يا أهل القرآن:

تأملوا في كتاب الله عز وجل من سورة الفاتحة إلى سورة الناس تجد الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والقصص والتوحيد وسطّر فيه ما حدث في العصور الماضية للعبرة والاتعاظ [**فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**] {ق:٤٥}.

وتأملوا في كتاب الله عز وجل تجدوا أن فيه أربعة براهين في إثبات وتحقيق البعث والنشور ويأتي كل برهان بصور متعددة وطرق مختلفة وأمثال متغايرة [**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**] {الحشر:٢١}.

- البرهان الأول:

خلق السموات والأرض يقول الله تبارك وتعالى: [**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**] {غافر:٥٧}.

- البرهان الثاني:

إحياء الأرض بالنبات يقول تبارك وتعالى: [**وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] {فصّلت:٣٩}.

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد منكم بمُنْجيه عمله ولكن سدِّدوا وقاربوا**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا، إلا أن يتعمدني الله برحمةٍ وفضل**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

- **البرهان الثالث:**

خلق الإنسان من العدم يقول الله تبارك وتعالى: **[هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا]** {الإنسان: ١-٢}.

- **البرهان الرابع:**

إحياء الموتى في الدنيا كما في قصة قتيل بني إسرائيل وكما في قصة الذي مر على قرية وكما في قصة إبراهيم عليه السلام في إحياء الطيور وهذه القصص في سورة البقرة، يقول الله تبارك وتعالى: **[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]** {البقرة: ٢٦٠}.

فاللهم اجعلنا ممن يقرأ القرآن ويعمل به ويتلوه حق تلاوته وارزقنا حفظ حروفه وإقامة حدوده وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني
اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
اللهم انفعني بما علَّمتني وعلِّمني ما ينفعُني وارزقني علماً ينفعُني وزدني علماً
والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار
سبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير
أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف
غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين
٢٥/٤/١٤٣٠هـ